... رَأيْتُهُم صَرْعىٰ يَوْمَ بَدْر...

عندما بدأت بدايات الدعوة إلىٰ الله ، وذلك في العهد المكّي ، لم يصدّق المشركون ما يحدث أمام أعينهم ، وتساءلوا: كيف نترك آلهة آبائنا وأجدادنا ، ونعبد إلٰهاً واحداً؟!.

فهبّوا لصدّ مسيرة الدعوة ، وقدّموا كل ما يملكونه في سبيل إفشال الرسول ﷺ وصحبه ، لكن القلّة المؤمنة تحمّلت الشيء الكثير ، وصبروا علىٰ الأذىٰ والاضطهاد ، حتىٰ كتب الله النصر لهم:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ قائمٌ يُصلّي عند الكعبة وجميع قريش في مجالسهم ، إذْ قال قائلٌ منهم: ألا ينظرون إلىٰ هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلىٰ جزور آل فلان فيعمد إلىٰ فرثها ودمها وسَلاها فيجيء به ، ثم يُمهلُه حتىٰ إذا سجد وضعه بين كتفيه؟.

فانبعث أشقاهم ـ وهو عقبة بن أبي معيط ـ فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه ، وثبت النبيّ ﷺ ساجداً ، فضحكوا حتىٰ مال بعضهم علىٰ بعض من الضحك!.

فانطلق منطلق ـ وهو عبد الله بن مسعود ـ إلىٰ فاطمة وهي جويرية ، فأقبلتْ تسعىٰ وثبت النبي ﷺ ساجداً حتىٰ ألقتهُ عنه ، وأقبلت عليهم تسبّهم ، فلما قضىٰ رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش» ثم سمّىٰ: «اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة بن الوليد».

قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعىٰ يوم بدر، ثم سُحبوا إلىٰ القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القليب لعنة»[1].

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

كم آذاك قومك، وكم صبرت علىٰ الأذىٰ، فكانت النتيجة أن أيّدك الله بنصره، فما كان منك إلا العفو والرحمة:

من لي بأن ألقىٰ الحبيب وأظفرا ... وأشمّ من مثواه مسْكاً أذْفرا
وأرىٰ التي شُغفت بها مُهج الورىٰ ... خُصّت بهجرة خير من وطئ الثّرىٰ
وأجلّهم قدْراً فكيف تراها؟
كلفي بها طبعٌ بغير تكلّفِ ... صفت القلوب لها لأجْل من اصطُفي
وجلال تلك الأرض ما هو بالخفي ... كلّ البلاد إذا ذَكَرْتَ كأحرفٍ
في اسم المدينة لا خلا معناها

* * *

(١) مسند أحمد: ١/٤١٧.